حين يصير
المدحُ غلوّاً..
ويُلبس الزّورُ ثوبَ الوفاء

وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد | وزارة العدل | الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء | الرئاسة العامة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر | وزارة الداخلية | رئاسة أمن الدولة

العدل ميزان الرجال
والصدق صون المقام

بقلم
خالد التميمي

حين يصير المدحُ غلوًّا... ويُلبَس الزورُ ثوبَ الوفاء ... وإياكم والتملق
https://x.com/khaledsa2030/status/2088411675489599929?s=46

الحمد لله الذي أمر بالعدل في القول والعمل، ونهى عن الغلو والزور، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي ربّى أمته على الصدق، وحذّرها من فتنة المدح والإطراء، وعلى آله وصحبه ومن اتبع سبيلهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:
فقد استمعت إلى الكلمات التي قيلت في مجلس تهنئة معالي وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد الشيخ الدكتور عبداللطيف بن عبدالعزيز آل الشيخ -وفقه الله- بمناسبة تجديد الثقة الملكية الكريمة به، ومن حق معاليه أن يُهنّأ بهذه الثقة، وأن يُدعى له بالتوفيق والسداد والإعانة على أداء الأمانة، وأن يُذكر ما أحسن فيه بصدق وعدل، كما يُنصح فيما يحتاج إلى نصح بصدق وعدل؛ فالعدل لا يعرف خصومةً ولا محاباة.

لكن أن تتحول التهنئة إلى قول:
[والله ما وقف لأهل الإرهاب إلا أنت... ولا قضى على الأفكار الهدامة إلا أنت... ولا ثبت الناس في التوحيد وفي السنة وفي ثباتهم على جماعة المسلمين وفي طاعة ولاة الأمر إلا بك وبأمثالك].
ثم يقال:
[نهنئ أنفسنا ونهنئ الأمة الإسلامية وليس السعوديين فقط... أياديك بيضاء على العالم الإسلامي كله... أنت تعمل وتبحث في الخارج وفي الداخل وتلملم شتات هذه الأمة].

فهنا يجب أن يقف العلم، ويستيقظ الورع، ويتكلم العدل ، وينطق بالحق
ما هكذا تُصان مقامات الرجال، ولا هكذا تكون التهنئة.
فأيُّ ميزانٍ للعدل يبقى إذا قيل لرجل واحد: [ما وقف لأهل الإرهاب إلا أنت..] ؟!
أين دولةٌ حاربت الإرهاب بعقيدتها وأنظمتها ومؤسساتها وأجهزتها الأمنية، وقدمت في سبيل أمنها رجالًا وشهداء؟
وأين ولاة أمر هذه البلاد، وفي مقدمتهم خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده حفظهما الله، وما وراء هذه المواجهة من قرار دولة وسياسة دولة وإمكانات دولة؟
وأين علماؤنا الكبار الذين حذّروا من الخوارج والحزبيات والأفكار المنحرفة قبل هذه الوزارة بعقود، وكتبوا وأفتوا ودرّسوا وصبروا؟
وأين رجال الأمن الذين واجهوا الإرهاب في الميدان، وأين دماء الشهداء، وأين أجهزة الدولة الأمنية والفكرية والتعليمية والقضائية؟

ثم أيقال بعد ذلك كله:
[ما وقف لأهل الإرهاب إلا أنت]!!؟؟
هذه ليست مبالغةً يسيرة في عبارة عابرة؛ بل إطلاقٌ يهدمه التاريخ والواقع قبل أن يحتاج إلى من يرد عليه.
وأعجب منه قول القائل:
[ولا ثبت الناس في التوحيد وفي السنة... إلا بك وبأمثالك].

يا سبحان الله ....!!!

التوحيد الذي قامت عليه هذه الدولة منذ دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب وتحالفه مع الإمام محمد بن سعود - رحمهما الله-، وحمله أئمة الدعوة وعلماء هذه البلاد جيلًا بعد جيل، وثبّت الله عليه أمةً بدعوة العلماء وتعليمهم وقيام الدولة بنصره، يُختزل ثبات الناس عليه اليوم في شخص مسؤول أو وزارة؟!

إن الرجال يُشرَّفون بخدمة التوحيد، وليس التوحيد محتاجًا إلى أن يُرفع قدره بالرجال.

وأما قول: [تلملم شتات هذه الأمة] وتهنئة [الأمة الإسلامية] كلها به، و [الأيادي البيضاء على العالم الإسلامي كله], فعبارات عظيمة، والكلمات العظيمة لا يحل أن تكون أرخص من براهينها.

قال الله تعالى:
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.
وقال سبحانه:
﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾.
وقال جل وعلا:
﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾.

وصح عن رسول الله ﷺ أنه لما سمع رجلًا يثني على رجل ويطريه في المدحة قال: ((أهلكتم، أو قطعتم، ظهر الرجل))، وقال ﷺ في المدّاحين: ((إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب)).

وهنا موضع ينبغي أن يفهمه المادح والممدوح جميعًا:
ليس من الوفاء للمسؤول أن نرفعه بكلمات لا يحتملها ميزان الحقيقة، وليس من نصره أن ننسب إليه ما اشتركت فيه دولة بأكملها، أو قام به علماء وأجهزة ورجال سبقوه وعاصروه، وليس من المحبة أن نضعه في موضع يحتاج بعده الناس إلى الدفاع عن حدود الحقيقة.

بل من حق الممدوح على محبيه أن يحموه من غلوهم فيه.

ومن تمام شكر الثقة الملكية بمعالي الوزير أن يكون أول ما يحيط بهذه الثقة هو الصدق؛ لأن المسؤول الذي يحمل أمانة الدولة لا يحتاج إلى صناعة صورة أسطورية حوله، وإنما يحتاج إلى دعاء صادق، وعمل ناجح، ونقد منصف، وتقويم أمين.

والأجمل والأليق بمقام المسؤول، إذا سمع مثل هذا الإطراء في مجلسه، أن يرده إلى نصابه، وأن ينسب الفضل بعد الله إلى ولاة الأمر، وإلى الدولة ومؤسساتها وعلمائها ورجال أمنها وشهدائها وكل من أدى واجبه؛ فإن رد الغلو يرفع الممدوح ولا يضعه، ويشهد له بالتواضع والعدل، ويحفظ عليه دينه ومكانته.

فليُهنَّأ معالي الوزير بتجديد الثقة الملكية، ونسأل الله أن يعينه على أمانتها، ويوفقه لإصلاح ما بقي، وأن يجعل عمله خالصًا نافعًا للبلاد والعباد.

ولكن التهنئة شيء، وتوزيع أمجاد دولة وأمة على رجل واحد شيء آخر.

والثناء بالحق فضيلة، أما الغلو فلا يصير حقًّا لأن قائله أقسم بالله أنه صادق، ولا تصبح الدعوى حقيقةً لأن المجلس استحسنها؛ فالصدق ليس حرارة العبارة، وإنما مطابقة القول للواقع.

رحم الله امرأً عرف للرجال أقدارهم فلم يبخسهم، وعرف للحق قدره فلم يجاوز بهم حدَّه.

ونسأل الله لنا وللقائل وللممدوح المغفرة والعفو، وأن يرزقنا صدق الألسنة، وعدل القلوب، وأن يعيذنا من الزور والغلو والرياء والفتنة بالمدح؛ فما أحوج الإنسان إلى من يدعو له بالتوفيق، وما أقل حاجته إلى من يحمّله من الثناء ما سيُسأل عنه قائله بين يدي الله.

فالرجال يمضون، والمناصب تزول، والمدائح تُنسى؛ أما الكلمة فقد قال الله فيها:
{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}